

## الذريعة من تراث المرتضى

حسين حليان

مقدمه

بسم الله الرحمن الرحيم  
والحمد لله رب العالمين  
وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

عرّف علم الفقه بـ«علم الاستدلال».<sup>١</sup>

أو «علم عملية الاستنباط»،<sup>٢</sup> ومن أهم المقدمات لهذا العلم، علم أصول الفقه. وعرّف الأصول بـ«أنه صناعة يعرف بها القواعد التي يمكن أن تقع في طريق استنباط الاحكام، أو التي ينتهي إليها في مقام العمل».<sup>٣</sup> «علم الاصول هو العلم بالعناصر المشتركة في الاستدلال الفقهي خاصة التي يستعملها الفقيه كدليل على الجعل الشرعي الكلي».<sup>٤</sup>

وقال المحقق الخراساني في شأن علم الأصول وشدة الحاجة اليه: «ما من مسألة الا ويحتاج

١. محمدتقي اصفهاني، هداية المسترشدين، ج١، ص٩٥.

٢. سيد محمد باقر صدر، دروس في علم الاصول، ج١، ص٣٦.

٣. محمد كاظم خراساني، كفاية الاصول، ج١، ص٢٤.

٤. سيد محمد باقر صدر، بحوث في علم الاصول، ج١، ص٣١.

فى استنباط حكمها الى قاعدة او قواعد برهن عليها فى علم الاصول»<sup>١</sup>  
ومحمد الله بقى لنا من التراث الاصولى البهىء من آثار السيد المرتضى، ما نشير اليه فى هذا  
المجال بنحو من الاختصار.

بسم

## التراث الاصولى للشريف المرتضى.<sup>٢</sup>

السيد المرتضى علم الهدى (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ) حضر مدرسة المفيد. وهو ابوالقاسم السيد  
على بن الحسين، الذى ينتهى نسبه الى الإمام موسى ابن جعفر يوسائط، يعرّفه تلميذه  
النجاشى بقوله: على بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن بن ابراهيم بن موسى بن  
جعفر... حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد فى زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، وكان متكلماً  
شاعراً أديباً، عظيم المنزلة فى العلم والدين والدنيا، ثم ذكر أسماء كتبه ومنها «كتاب الذريعة» ثم  
قال: إته مات (رضى الله عنه) لخمسة بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٣٦ هـ. وصلى عليه ابنه  
فى داره، وتوليت غسله ومعى الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن الجعفرى وسلا بن عبد  
العزيز.<sup>٣</sup>

ويقول تلميذه الآخر الشيخ الطوسى:

على بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن  
على بن الحسين بن على بن أبى طالب:، كنيته أبو القاسم، لقبه علم الهدى الاجل المرتضى  
رضى الله عنه، متوحد فى علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدم فى العلوم، مثل علم الكلام  
والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعانى الشعر واللغة وغير ذلك، له ديوان شعريزيد  
على الف بيت. وله من التصانيف ومسائل البلدان شىء كثير، مشتمل على ذلك فهرسته  
المعروف، غير انى أذكر أعيان كتبه وكبارها، منها: كتاب الشافى فى الإمامة، وهو نقض كتاب  
الإمامة من كتاب المغنى لعبد الجبار بن أحمد، وهو كتاب لم يصنف مثله فى الإمامة، وكتاب  
الملخص فى الأصول لم يتمه، وكتاب الذخيرة فى الأصول تام، وكتاب جمل العلم والعمل تام.  
وكتاب الغرر والدرر، وكتاب التنزيه، والمسائل الموصلية الأولية الثلاثة، وهى مسألة فى الوعيد،

١. محمد كاظم خراسانى، كفاية الاصول، ص ٤٦٨.

٢. وهو مقصدنا الأهم فى هذا المقال.

٣. النجاشى، فهرست أسماء مصنفى الشيعة، ص ٢٧٠ و ٢٧١.



ومسألة فى ابطال القياس ، ومسألة فى الاعتماد ، ومسائل أهل الموصل الثانية ، ومسائلهم الثالثة ، وكتاب المقنع فى الغيبة ، وكتاب مسائل الخلاف فى الفقه لم يتمه ، ومسائل الانفرادات فى الفقه تامة . ومسائل الخلاف فى أصول الفقه لم يتمها ، ومسائل مفردات فى أصول الفقه ، وكتاب الصرفة فى اعجاز القرآن ، وكتاب المصباح فى الفقه لم يتمه ، والمسائل الطرابلسية الأولية ، ومسائلهم الثانية ، والمسائل الحلبية الأولية ، ومسائلهم الآخرة . ومسائل أهل مصر قديماً فى الطيف (الطيف خ ل ) ، ومسائلهم أخيراً ، وله المسائل الدبلوماسية ، وله المسائل الناصرية فى الفقه ، والمسائل الطوسية لم يتمها ، والمسائل الجرجانية ، وله ديوان الشعر ، وكتاب البرق ، وكتاب الطيف والحيال ، وكتاب الشيب والشباب ، وكتاب تتبع الآيات التى تكلم عليها ابن جنى فى اثبات المعانى للمتنبى ، وكتاب النقض على ابن جنى فى الحكاية والمحكى ، وتفسير قصيدة السيد الحميرى رحمه الله المذهبة ، ومسائل مفردات نحو من مائة مسألة فى فنون شتى ، وله مسائل كثيرة فى نصرة الرؤية وابطال القول بالعدد ، وكتاب الذريعة فى أصول الفقه ، وله المسائل الصيداوية وغير ذلك . توفى فى شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وكان مولده فى رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، وسنه يومئذ ثمانين سنة وثمانية أشهر وأيام نضر الله وجهه . قرأت هذه الكتب أكثرها عليه ، وسمعت سائرها يقرأ عليه دفعات كثيرة<sup>١</sup>.

### ب

وقد ترك سيدنا الجليل آثاراً وتآليف عديدة تصل إلى ٨٦ كتاباً أو موسوعة أو رسالة ، وإليك بعض ما ألف فى الفقه وأصوله : ١ . الذريعة فى أصول الفقه فى جزئين ٢ . مسائل المفردات فى أصول الفقه ٣ . مسائل الخلاف فى أصول الفقه . هذا ما ألفه فى الأصول ; وأما فى الفقه ، فقد ألف الكتب التالية : ١ . ابطال القول بالعدد ٢ . مسائل الخلاف فى الفقه ٣ . الناصرية فى الفقه ، وهى عبارة عن ٢٠٧ مسائل استلها الشريف المرتضى من فقه الناصر الكبير (جدّه لأُمّه) وشرحها وصححها ، واستدل على صحتها من الكتاب والسنة والإجماع ٤ . الدبلوماسية فى الفقه ٥ . الرد على أصحاب العدد فى شهر رمضان ٦ . المصباح فى الفقه . إلى غير ذلك من المسائل التى ألفها فى جواب الأسئلة والاستفسارات التى كانت ترد إليه من نواحي شتى<sup>٢</sup>.

١ . الشيخ الطوسى ، الفهرست ، ص ١٦٤ و١٦٥ .

٢ . الشيخ جعفر السبحانى ، موسوعة طبقات الفقهاء ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ .

وقال ابو العلاء المعرى فى شأن السيد المرتضى:

ياسائلى عنه لما جئت تسأله      الا هو الرجل العارين العار

لو جئته لرأيت الناس فى رجل      والدهر فى ساعة والارض فى دار

أهم تراث لأبى القاسم على الشريف المرتضى علم الهدى (٣٥٥ - ٤٣٦) فى علم الأصول هو «الذريعة إلى أصول الشريعة». وحسب التاريخ الموجود فى اواخر بعض النسخ صنف الكتاب السيد المرتضى فى أواخر سنى عمره الشريف.

وقال الشيخ آقا بزرك الطهرانى:

ومما كان دخيلا فى عملية الاستنباط هى القواعد التى مهدها الأئمة عليهم السلام ...، فكانت هذه القواعد مبثوثة فى الكتب الفقهية أو الروائية وتذكر حسب الحاجة إليها، ولكن سرعان ما التفت إلى ضرورة استخراجها بشكل منفصل، فقد ألف السيد المرتضى (قده) المتوفى سنة ٤٣٦ كتابه "الذريعة إلى أصول الشريعة" حيث بحث فيه عن أمهات القواعد الأصولية.<sup>٢</sup>

وقال المحقق السيد أحمد الحسينى: ولعله أول كتاب كبير فى الموضوع من مؤلفات الشيعة سلم من الضياع وتم تأليفه كما فى بعض النسخ فى يوم الجمعة ١١ شوال سنة ٤٣٠. وذكر من نسخ الكتاب:

(گوهر شاد ١٩٦) على الكاتب، ١١ شعبان ١٠٤٣، استكتاب خليفة سلطان فى قم

[١٦٧/١ف]

(المرعشى ٣٢١٠) عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الأحسائى، يوم الأحد ١١ صفر ١٠٩٨، نسخة مصححة عليها تعليقات بعضها من الناسخ.

(المرعشى ٦٥١٩) من القرن الحادى عشر.

١. الطبرسى، الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٣٦.

٢. آقا بزرك الطهرانى، توضيح الرشاد فى تاريخ حصر الاجتهاد، ص ٤٣.

(المرعشى ١٠٦٨٤) من القرن الحادى عشر، مخروم الآخر.  
 (المرعشى ٥٦٣٥) عبد الرشيد بن عبد المحسن، يوم الخميس ١١ شعبان ١١١٠.  
 (المرعشى ١٠٣٩٤) سيد محمد الكاتب، سابع رجب ١١١١ فى قزوين.  
 (الخوانسارى ٦٤) من القرن الثانى عشر، مصحح عليه بلاغات وتعليق قليلة. [ف ٤٩/١]  
 (المرعشى ٥٢٩٥ م) على محمد الريزى اللنجانى، سنة ١٢٢٦، كتبه لملا على محمد  
 الطهرانى.

(إحياء التراث ١٨٣١) محمد حسين بن محمد قاسم الرائى الكاشانى، شهر شوال ١٢٢٨.  
 (المشكاة ١٣٠٣) شريف بن محمد صادق، يوم الاثنين ١٨ رجب ١٢٣٨ [ف ٢٧١٥/٧]  
 (إحياء التراث ١٦٧٤) يوم الاثنين من جمادى الأولى ١٢٣٩.  
 (المرعشى ١٠٤٥٦) ١٣ شعبان ١٢٤٠، مخروم الآخر.<sup>١</sup>  
 وكذا قال الشيخ آقا بزرك:

(الذريعة إلى أصول الشريعة) للشريف المرتضى علم الهدى على بن الحسين الموسوى المتوفى (٤٣٦) الفه (٤٣٠) مرتبا على فصول وقال فى أوله [انى رأيت أن املى كتابا متوسطا فى أصول الفقه لا ينتهى بتطويل الاضلال ولا باختصار إلى الاخلال - إلى قوله - وأخص مسائل الخلاف بالاستيفاء والاستقصاء فان مسائل الوفاق يقل الحاجة فيها إلى ذلك] أوله [ الحمد لله حمد الشاكرين الذاكرين .. ] رأيت نسخة منه فى مكتبة (حسينية كاشف الغطاء) وأخرى بمكتبة شيخنا (الشريعة) كانت ناقصة فكتب نقيصتها السيد مهدى بن السيد محمد ابن محمد تقى بن رضا بن بحر العلوم فى (١٣٠٦) وكتب السماوى له فهرسا لطيفا فى نسخته، ونسخة السيد محمد صادق بحر العلوم بخط الشيخ حسن بن الشيخ على الحللى، ونسخة السيد على شبر بخط الشيخ احمد قفطان (١٢٦٣) ونسخة الشيخ منصور الساعدى الشروقى، وغير ذلك من النسخ. وقد كانت متناولة للعلماء من لدن تأليف الكتاب وقد حرره العلامة الحللى وسماه "النكت البديعة فى تحرير الذريعة" ولخصه فريد خراسان كما مرفى (ج ٤ ص ٤٢٧) بعنوان "تلخيص مسائل الذريعة". وقد كتبوا له شروحا. (منها) شرح مسائل الذريعة للشيخ عماد الدين الطبرى صاحب "بشارة المصطفى". و (منها) شرح السيد كمال الدين المرتضى بن المنتهى بن الحسين بن على الحسينى المرعشى من مشايخ الشيخ منتجب الدين، كما فى

١. السيد احمد الحسينى الاشكورى، التراث العربى المخطوط، ج ٦، ص ٢٤ الى ٢٦.

فهرسه<sup>١</sup>.

وقال أحد المحققين: يوجد من الذريعة اكثر من ٥٠ نسخة خطية أقدمها نسخة بتاريخ ٩٦٩ق، وأما أكثرها اعتباراً نسخة بتاريخ ١٠٢٥ ق مقابلة مع نسخة أخرى قرئت على ابن أبي الحديد وقوبلت وصححت<sup>٢</sup>.

طبعت لأول مرة بتحقيق العالم الدكتور أبو القاسم كرجي، الطبعة الأولى، مجلّدان، طهران، جامعة طهران، ١٣٤٨ ش،<sup>٣</sup> والطبعة الثانية ١٣٦٣ ش.

والدكتور أبو القاسم كرجي الطهراني (١٣٠٠-١٣٨٩ ش) عالم فاضل مجتهد من فضلاء تلامذة آية الله السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي رحمة الله عليه وزميل أستاذنا آية الله الشيخ الميرزا علي الفلسفي. وقد وصفه آية الله الخويي ب: الفاضل البارع الهمام والمحقق المدقق العلام عماد الأعلام ركن الاسلام جناب الشيخ الميرزا أبو القاسم الطهراني<sup>٤</sup>.

واستفاد الدكتور كرجي من ثلاث نسخ:

١- نسخة أخذها من الأستاذ السيد محمد المشكوة في خاتمة النسخة: بلغ تسويده على يدى اضعف عباد الله واحوجهم الى غفرانه عبده حسن بن المحسن بن الحسن الحسيني الأعرجي عصر الجمعة الثالث من شهر رمضان من شهور سنة ١٢٢٤ والحمد لله رب العالمين.

وفي حاشية الصفحة الأخيرة: تاريخ الكتاب مؤلفه عليه الرضوان وحل أعلى الجنان: تم هذا الكتاب يوم الجمعة الحادى عشر من شهر شوال من سنة ثلاثين وأربعمائة.

وكانت النسخة فى ملك السيد محمد على نيماء الفتوحى فى شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٦ ق.

٢- نسخة فى مكتبة آستان قدس رضوى وتصوير منها فى جامعة طهران. فى آخرها: وكتب العبد الوضيع على بن أحمد الحسينى المدنى الأحسائى تجاوز الله عن سيئاته فى سابع و عشرين شهر رمضان سنة....

فتاريخ كتابته مجهول ولكن فى الحاشية: به تاريخ ١٧ شهر جمادى الثانية سنة ١٣١٢

١. آقا بزرگ الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ج ١٠، ص ٢٦.

٢. محمد حسين الدرايى، راجع: خبرنامه ى هزاره ى سيد مرتضى علم الهدى، العدد الأول، شتاء ١٣٩٣ ش، ص ٢٥.

٣. السيد محمد حسين الحسينى الجلالى، فهرس التراث، ج ١، ص ٥٠٠.

٤. راجع: مجلة كتاب شيعه، العدد الخامس، ص ٢٣١.

ملاحظه شد.

٣- نسخة للجامعة<sup>١</sup> برقم ١٣٠٣ فى آخره: قد فرغت من تسويده فى يوم الاثنين فى الثامن الثامن عشر من شهر رجب المرجب على يد أقل العباد ابن محمد صادق شريف غفر الله له و لوالديه بمحمد وآله سنة ١٢٣٨.<sup>٢</sup>

و طبعها مجدداً محققاً للجنة العلمية فى مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام بإشراف آية الله الشيخ جعفر السبحانى، و بجهود السيد عبد الكريم الموسوى و محمد عبد الكريم بيت الشيخ و محمد الكنائى و الشيخ محمود باقرپور. الطبعة الأولى من هذه الطبعة سنة ١٤٢٩. و اعتمداً على النسخة المطبوعة باهتمام الدكتور ابوالقاسم كرجى و على نسخة كُتبت فى سنة ١٢٤٦. فى آخر النسخة: و وافق الفراغ من إتمام هذا الكتاب يوم الجمعة الحادى عشر من شهر شوال سنة ثلثين و أربعمأة و الحمد لله وحده و صلى الله على من لا نبي بعده.

و كتب الكاتب: وقع الفراغ من تسويد هذا الكتاب المستطاب المسمى بالذريعة فى يوم الاثنين من شهر شعبان المعظم فى سنة سادس و أربعون و مئتان بعد ألف من الهجرة... و أنا العبد... مصطفى ابن المرحوم الحاج ملا أحمد الخوينى... و النسخة الخطية محفوظة فى مكتبة السيد أسد الله مجد القزوينى.

و كتاب الذريعة يحتوى على مقدمة و أربعة عشر باباً هى كما يلى:

الكلام فى الخطاب و أقسامه و أحكامه؛

القول فى الأمر و أقسامه و أحكامه؛

فى أحكام النهى؛

الكلام فى العموم و الخصوص؛

فى المجل و المبين؛

الكلام فى النسخ؛

الكلام فى الأخبار؛

صفة المتحمل للخبر؛

الكلام فى الأخبار؛

١. و لعل المراد جامعة طهران.

٢. راجع: مقدمة الذريعة الى أصول الشريعة المطبوعة، للدكتور ابوالقاسم كرجى، ص ٣٤ الى ٤٣.

الكلام فى الإجماع؛

الكلام فى القياس؛

الكلام فى الاجتهاد؛

الكلام فى الحظر والاباحة؛

فى النافى والمستصحب للحال.

و لخص البيهقى كتاب الذريعة فـ«تلخيص مسائل من الذريعة» لأبى الحسن على بن أبى القاسم زيد بن محمد بن الحسين البيهقى فريد خراسان المولود (٤٩٩) والمتوفى (٥٦٥) ذكره تلميذه محمد بن شهر آشوب فى معالم العلماء<sup>١</sup>.

وقال الشيخ آقا بزرك فى شروح الذريعة:

(شرح الذريعة إلى أصول الشريعة) فى أصول الفقه للشريف المرتضى، حرره وشرحه الشيخ أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن على بن المطهر الشهير بالعلامة الحلبي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ. سماه بـ (النكت البديعة فى تحرير الذريعة) كما يأتى فى حرف النون.

(شرح الذريعة) المذكور، للشيخ الامام قطب الدين أبى الحسين سعيد<sup>٢</sup> ابن هبة الله بن الحسن الشهير بالقطب الراوندى، المتوفى ضحوة الأربعاء ١٤ شوال سنة ٥٧٣ هـ. اسمه (المستقصى) كما يأتى، ذكره الشيخ منتجب الدين فى (الفهرست)<sup>٣</sup>.

(شرح الذريعة) المذكور، للشيخ أبى جعفر محمد بن أبى القاسم على بن محمد بن على الطبرى الأملى الكحى صاحب (بشارة المصطفى لشعبة المرتضى) وتلميذ الشيخ أبى على ابن شيخ الطائفة الطوسى، وأستاذ القطب الراوندى، والشيخ منتجب الدين، ... بعنوان: شرح مسائل الذريعة. كما عبر به الشيخ منتجب الدين.

(شرح الذريعة) المذكور، للسيد كمال الدين المرتضى بن المنتهى ابن الحسين بن على الحسينى المرعى، أستاذ الشيخ منتجب الدين، ذكره التلميذ فى (الفهرست)<sup>٤</sup>.



١. راجع: معالم العلماء لابن شهر آشوب، ٨٧؛ وأمل الأمل للشيخ الحر العاملى، ج ٢، ص ٣٥٢؛ والذريعة لأقا بزرك الطهرانى، ج ٤، ص ٤٢٧؛ ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئى، ج ٢٢، ص ١٢٠.
٢. فى فهرست الشيخ منتجب الدين المطبوع: سعد.
٣. راجع: فهرست الشيخ منتجب الدين، ص ٦٨.
٤. آقا بزرك الطهرانى، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ج ١٣، ص ٢٧٧ و ٢٧٨.





## مصادر و مأخذ:

القرآن الكريم.

الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مع تعليقات السيد محمد باقر الخراسان.

أمل الآمل، الشيخ الحر العاملي، تحقيق السيد أحمد الحسيني، دارالكتاب الإسلامي.

مبحث في علم الأصول، سيد محمد باقر صدر، دائرة المعارف لفقته على مذهب أهل

البيت عليه السلام.

التراث العربي المخطوط، السيد أحمد الحسيني الأشكوري، نشر دليل ما.

توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد، الشيخ محسن آقا بزرگ الطهراني، تحقيق الشيخ

محمد علي الأنصاري، مطبعة الخيام.

خبرنامه هزاره سيده مرتضى علم الهدى، العدد الأول، شتاء ١٣٩٣ ش، دارالحديث.

دروس في علم الأصول، سيد محمد باقر صدر، دارالكتاب اللبناني.

الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ محسن آقا بزرگ الطهراني، دارالأضواء.

الذريعة إلى أصول الشريعة، السيد المرتضى، تحقيق الدكتور ابوالقاسم كرجي، نشر جامعة

طهران.

الذريعة إلى أصول الشريعة، السيد المرتضى، تحقيق اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام

الصادق عليه السلام.

فهرس التراث، السيد محمد حسين الحسيني الجلالى، تحقيق السيد محمد جواد الحسيني

الجلالى، نشر دليل ما.

**فهرست أسماء مصنفى الشيعة**، ابوالعباس النجاشى، طبعة جامعة المدرسين بقم المقدسة.  
**الفهرست**، الشيخ محمد بن الحسن الطوسى، تحقيق: الشيخ جواد القيومى، مؤسسة نشر  
الفقاهة.

**الفهرست**، الشيخ منتجب الدين على بن بابويه الرازى، تحقيق جلال الدين المحدث  
الأرموى، مكتبة آية الله المرعشى.

**كتاب شيعة**، العدد الخامس، مجلة تصدرها مؤسسة تراث الشيعة، ١٣٩١ ش.  
**كفاية الأصول**، الشيخ محمد كاظم الخراسانى، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء  
التراث.

**معالم العلماء**، ابن شهر آشوب، المطبعة الحيدرية فى النجف.

**معجم رجال الحديث**، السيد ابوالقاسم الموسوى الخوئى.

**موسوعة طبقات الفقهاء**، الشيخ جعفر السبحانى، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

**هداية المسترشدين**، الشيخ محمدتقى اصفهانى، طبعة جامعة المدرسين بقم المقدسة.

